الأستاذ الدكتور:الياس مستاري

السنة الأولى ليسانس

المجموعة:ب/السداسي الثاني

المحاضرة الأولى :قضية الوضوح والغموض:

تعد هذه القضية من القضايا التي شغلت النقاد القدامى، وهي تمثل صورة من صور التلقي السلبي الذي كان شائعا في تراثنا النقدي والبلاغي القديم، حيث سعى المبدع إلى توضيح نصه وإيصاله لمتلقيه صريح المعاني، خاليا من أي درجة من درجات الغموض، ويلاحظ ميل عام للنقاد والبلاغيين إلى الوضوح أكثر من الغموض، ويظهر ذلك من تعريف بعضهم البلاغة بأنها: «وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة».

وترتبط قضية الوضوح والغرض بقضايا كثيرة، مثل المقاربة في التشبيه عند المرزوقي (ت421) في عمود الشعر، وقضايا التعقيد والإبهام التي تحدث عنها عبد القاهر الجرجاني (ت 471) وحازم القرطاجني في مصنفاتهما؛ ووضوح المعنى يعني به أن يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد ويكون واضحا إذا جاء عن طريق ألفاظ دقيقة في معناها، وأن يقتصر في استخدام المحسنات البديعية وأن لا يطول الفصل بين أركان الجملة، بأن ينأى الخبر عن المبتدأ، أو جواب الشرط عن فعله، فإن فقد شرط من الشروط السابقة خفي المعنى، واتسمت العبارة بالتعقيد، أما غموض المعنى فيأتي عن طريق الإسراف في طلب المحسنات البديعية من طباق وجناس واستعارات، والإسراف في استخدام المحسنات البديعية ينتج عنه خفاء المعنى، مما يتطلب كدّ الفكر وطول التأمل للتوصل إلى المعنى.

ومن أسباب غموض المعنى استخدام الكلمة في غير معناها الدقيق، والجري على غير القواعد المشهور ة في النحو، فيقدم ما يستحق التأخير، ويؤخر ما يستحق التقديم، ويفصل بين المتلازمين، وعندها لا يتضح المعنى إلا بعد تعب وعناء.

وقد يلجأ الشاعر إلى الألفاظ الوحشية مما يؤدي إلى غموض المعنى، ومثال ذلك قول أبي تمام :

خان الصفاء أخٌ خان الزمانُ أخ عنه فلم يتخون جسمه الكمد

فعلّق الآمدي:فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت، وهي سبع كلمات آخرها قوله عنه: ما أشد تشبثها بعضها ببعض، وما أقبح ما اعتمده من إدخال ألفاظ في البيت من أجل ما يشبهها وهو، خان، يتخون وقوله أخ، أخا، فإذا تأملت المعنى – مع ما أفسده من اللفظ، لم تجد له حلاوة ولا فيه كبير فائدة.

ومن النقاد من يرى أن قضية وضوح المعنى وغموضه لم تكن شغل النقاد قبل ظهور أبي تمام، فقد كان الشعراء قبل ظهور أبي تمام يسيرون على عمود الشعر العربي، وعلى سنن الشعراء الجاهليين، وعندما ظهر أبو تمام أخذ يذيع في الناس شعرا يمثل ظاهرة جديدة هي ظاهرة استخدام ألوان البديع في شعره، وكان النقاد في القرن الثالث الهجري يجتهدون في إبراز عيوب أبي تمام، ومن هذه العيوب استغلاق بعض معانيه لاستخدامه وجوه البديع المختلفة، وكان البحتري معاصرا لأبي تمام، فأخذ الناس يوازنون بين شعريهما، وانقسموا فريقين، وظهرت كتب الموازنات، ولعل أهم كتاب هو الموازنة للآمدي،و ما يهمنا هو الجانب الذي خصصه للحديث عن قضية الوضوح والغموض في المعنى.

يقول :«فإن كنت، ممن يفضل سهل الكلام وقريبه، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحتري أشعر عندك ضرورة، وإن كنت تميل إلى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغموض والفكرة، ولا تلوى غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة ».

وعليه فقد حدد الآمدي صفات وضوح المعنى، وغموضه، فأما صفات وضوحه فهي :

- أن يكون الشعر صحيح السبك.
- حسن الديباجة .
- أن يكون مستويا يشبه بعضه بعضا.
- أن يسير الشاعر على مذهب الأوائل، (لا يفارق عمود الشعر) .
- أن يتجنب التعقيد ومستكره الكلام وأن تكون ألفاظه سهلة عذبة.

أما صفات غموض المعنى:

- إذا كان المعنى يحتاج إلى استنباط واستخراج.
- إذا كان الشاعر يميل إلى التدقيق وفلسفة الكلام.
- ألا يسير الشاعر في معانيه على طريق الأوائل.
- إذا كانت استعاراته بعيدة ومعانيه مولدة.
- إذا كان الشاعر متكلفا في استخدام ألوان البديع .

وفي بعض الأحيان نجد أن المتلقي هو الذي يطالب المبدع أن يتوجه إليه بالمعنى الواضح، وكأنه لا يريد أن يبذل جهدا في محاولة فهم معنى النص الموجه إليه، وقد ذكر ابن رشيق (ت456) موقفا لأبي تمام، حين سأله أحدهم: « يا أبا تمام، لم لا تقول من الشعر ما يفهم،فقال له،و أنت لم لا تفهم من الشعر ما يقال ففضحه ».

وعلق ابن سنان الخفاجي (466ه) على أن كلاهما صحيح وتنبه إلى ضرورة وضوح المبدع في نصه حتى يفهمه المتلقي دون عناء، وكذلك ضرورة أن يتحلى المتلقي بقدر من الفهم يساعده على معرفة معاني الشعر الظاهرة والغامضة فلا يحتاج إلى أن يسأل المبدع عما أراده من النص الذي أنشاه.

هذا وقد طرح حازم القرطاجني هذه الفكرة ملحا على أن الأصل في المعاني أن يعبر عنها بوضوح في حد ذاتها، وأن تكون واضحة من جهة العبارة الدالة عليها.

وغموض المعنى مرده إلى :

- غموض المعنى في حد ذاته، وغموض في العبارة من حيث هي دالة على المعنى، وغموض مزدوج في المعنى والعبارة معا.

أما غموض العبارة فيرجع إلى العوامل الآتية:

- أن يكون اللفظ حوشيا غريبا.
- أن يقع في الكلام تقديم وتأخير.
- أن يفصل بين أجزاء الكلام بقافية أو سجع.
- أن تطول العبارة التي تؤدي إلى غموض المعاني من جهة العبارات.

ويقدم حازم حيّلا لإزالة الغموض في المعاني منها:

ترك ما هو غامض، والاقتصار على ذكر ما هو أوضح،وذلك :«بأن يتبع الشيء بما يكون شرحا له وتفسيرا من جهة ما يكون في معناه، أو تكون دلالته في معنى دلالته أو من جهة ما يناسبه ويشابهه، ويكون بأشياء خارجة عن معنى الشيء إلا أن فيها دلالات على إبانة على ذهنه ولم يخطر على ذهن مبدع النص نفسه».

وعلى الشاعر أن يبتعد عن الألفاظ الوحشية، ولأن التوسل بها يؤدي إلى غموض المعاني نتيجة غموض العبارة، وعليه أن يشفع اللفظ الغامض بلفظ أكثر وضوحا ليخفف من غموضه.

رأي القاضي الجرجاني:

أشار القاضي الجرجاني إلى مسألة الغموض عند رده على من وصفوا شعر المتنبي بالتعقيد والغموض، ويرى أن وجود شيء منهما في شعره لا يسقطه كله، وخلص إلى أنه «لو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعرا لوجب أن لا يرى لأبي تمام بيتا واحدا ».

ويفرق الجرجاني بين ضربين من الغموض: غموض سببه غرابة اللفظ بسبب بعد العهد به. والضرب الثاني من الغموض هو ما كان في المعنى نفسه مع وضوح الألفاظ.

رأي عبد القاهر الجرجاني (471ه):

وضع عبد القاهر ضوابط للغموض في الشعر ليحفظ للصنعة الشعرية أصولها، فيشترط توفر شروط الصنعة الشعرية، من تحقيق الفصاحة، واكتمال الأوجه البلاغية، وظهور المعنى لا يتوصل إليه القارئ إلا بالتأمل والنظر والترتيب والتأليف والتركيب والتصوير وبهذا يرتقي القارئ إلى درجة رفيعة من الفهم يجاري فيها المبدع (الشاعر).

و بعد أبي تمام اتهم كل من المتنبي و أبي العلاء المعري بالغموض و التعقيد في شعرهما،و ظل النقد العربي يميل إلى الوضوح و يحث عليه، و يعيب الغموض و التعقيد بأشكالهما المختلفة.

أما في العصر الحديث فقد أختلف الأمر،فعلى سبيل المثال فإن الناقد أحمد أمين يرى أن بعض الغموض في الشعر مباح،وأن يكتفى بالإيماء والرضا عن الرمز.

وهذا راجع إلى أن لغة الشعر تعتمد الرمز في التعبير، فالشاعر يستنفر في الكلمات المعاني المجازية لخلق صور تخييلية للتعبير عما يجيش في صدره.